# الفصل الحادى عشر

# (التشكيك)

"رانيا" تتصل بـ "حسيب المنياوي" هاتفيًا، وتقص له أنها لمّحت لأختها "ميرفت" من بعيد لبعيد، وأنها حاولت تشكيكها في زوجها، لكي تشغل تفكيره عنهم؛ لأن زوجها "صلاح الشوربجي" اقترب موعد وصوله".

"ماضي" في محل الملابس، يراجع بعض الفواتير الخاصة بالمحل، ومشغول في الحسابات، ليسمع صوت رنين الهاتف، ليقول بينه وبين نفسه:

"مين اللي ع الصبح دا بيرن عليّا؟ أنا لسا جاي من البيت؟ معقولة تكون شكرات؟!

أما أشوف، ربنا يجيب العواقب سليمة"

ويمسك بالهاتف، فيجد رقمًا يكاد يعرفه، فيقول:

"دا باين رقم نوسة، أمّا أتصل عليه وأتأكد...

* ألو، مين؟! أهلًا أهلًا، ازيك يا ست نوسة عاملة إيه؟

_ الحمد لله، انت أخبارك إيه؟ أنا عرفت من شكرات إنك قابلتها فى اسكندرية امبارح، وإنك هاتروح بكرة مع خالتي وولاد خالتي زيارة لشكرات.

* أيوه رايح بكرة، بس أنا لسّه ماكلمتش خالتك.

_ ليه؟ كلمها ضروري علشان تتفقوا، وتشوفوا هاتتقابلوا فين؟

* مش عارف الواحد محرج قوي، أنا عمري ما كلمتها خالص، رغم كل الأحداث اللي حصلت دي كلها.

_ هـاتتحرج مـن إيـه؟! خـلاص بقـى فيـه بيـنكم حنـين، ومصـلحتها دلـوقتي أهـم مـن اللـي فـات، فـلازم كلكـم تتفقـوا علشان تشوفوا هاتعملوا ايه في موضوع حنين دا.

* موضوع حنين دا هو اللي قالقني يا ست نوسة، وخايف من رد الفعل، ودا جـايز قـوي، وكمـان مـش عايزهـا تتصـدم فـي التوقيت دا بالذات، ولا في أي توقيت.

_ هـي لازم تعرف الغلط دا جـه ازاي، وكمـان أكبر غلط إنهـا تكون عايشة، وماتعرفش الحقيقة دي، نفترض عرفت بعد لا قدر الله حد منكم اتوفى انت ولا شكرات، بعد ما انت عرفت طبعًا الحقيقة، العمل هايبقى إيه؟

* كل اللي جاي فعلًا صعب قوي، خايف نكون بننبش في قبر مقفول، ربنا يسترها.

_ تحب أتصل لك بخالتي علشان تشوف إذا كان ممكن تقابلها النهار دا وتتفقوا؟

* لا، أحب الأول إنك تشرفيني شوية في المحل، نتكلم كدا في كذا موضوع، وبعدين ابقي اتصل لي بخالتك.

_ تمام كدا، وأهو بالمرة اشتري شوية لبس للبنات.

وعندما تصل إلى محل "ماضي":

_ هاا، احكي لي الموضوع إيّاه، وصل معاك لحد فين؟

* قصدك موضوع رانيا وحسيب جوزك؟

_ هو فيه موضوع غيره؟!

* هو ماقالّكيش أي حاجة خالص؟

_ قال، بس طبعًا مش مقتنعة بكل اللي قاله، وعارفة إنه مش بيقول الحقيقة.

* الحقيقة إن هما عملوا حوار عليّا مظبوط، بعد ما كانوا في إيدي والله.

_ ازاي؟! احكي لي اللي حصل.

* كنت عايز أمضّيهم على بياض؛ علشان يكونوا تحت ضرسي، بعد ما كانوا واقفين قدامي بيترعشوا وخايفين من الفضيحة، اتعملت تمثيلية عليّا، بس هي جات معاهم كدا.

_ تمثيلية إزاي؟

* ما انا بقول لك.. كنت عايز أمضّيهم على بياض، لقيتوا بيقول لي أنا معايا في العربية دفتر شيكات على بياض نمضي لك على شيك، ودا أقوى وأضمن، وعلشان أثبت لك إن خلاص ماليش دعوة بيها تاني من اللحظة دي، لكن المشكلة إني صدقته؛ لإني عارف خطورة التوقيع على شيك على بياض، وقلت لنفسي كمان طالما موبايله معايا مش معقولة هايسيبه ويمشي، ممكن الموبايل يعمل له مشكلة، ما اعرفش إنه بالمكر دا، أو يعلم ربنا ايه اللي حصل خلّاه لما نزل يتصل بـ رانيا، حتى رانيا ساعتها عملت نفسها بتكلم والدها، وفوجئت بعد كدا بإنها مش هاممها وقلبت عليّا وقالت لي حسيب مش راجع، وإنها هاتقول إن هو كان معزوم في عيد ميلادها مع شلة من النادي أصدقاء ليها، ونسي عندها الموبايل، المهم صوّتت لها صوتين كدا تهديد ليّا، أنا ما اعرفش هو حكى لك انتِ إيه!

_ هو فعلا سبّق، بس بعض ما ضّغطت عليه، وفعلًا اعترف إن هو مش هايروح أعياد ميلاد حد تاني، وإنه هايقطع علاقته بيها.

* همّا أكيد واخدين حذرهم الأيام دي، وكمان جوزها تقريبًا جاي بكرة؛ لإنه بيقعد في البحر شهر، وبياخد أجازة أسبوع، بس مصيره يعرف أي حاجة عنهم، بس ساعتها الدنيا هاتولع، ويمكن تتطلق فيها، ويبقى فيه كلام تاني انتِ هاتحسّيه، وهاتعرفي الدنيا هايكون فيها إيه، خلّينا أنا وانتِ كدا متابعينهم من بعيد لبعيد، وفيه مثل شعبي بيقول (الحجر الداير لابد عن لطّه).

_ مظبوط، خلي بالك علشان الأيام اللي جاية دي عواد ابن خالتي مش هايبقى في الصورة، علشان هو هايبقى مشغول بفرحه، علاوة على إن حسيب جوزي هايبقى حريص أكتر، وهاياخد باله، وهايبقى الموضوع كله عليك لوحدك.

_ دا في حالة لو ما اتطلقتش، لكن لو طلبت الطلاق من جوزها ساعتها ممكن الدنيا تتغير، ويبقى الركّ عليكِ انتِ.

_ بمعنى إيه؟ مش فاهمة.

* بمعنى إنه ممكن يتجوزها لما عدّتها تخلص، فأكيد انتِ هاتحسّي، يبقى ساعتها الركّ عليكِ انتِ، فلازم تاخدي بالك

من دلوقتي في أي تغيير هايحصل.

_ صح كلامك، ومظبوط قوي.

* اتفقنا، ها.. كنتِ بتقولي هاتشتري شوية لبس للبنات.

_ أنا شايفه شوية موديلات للبنات عندك تجنن، متعلقين في الفاترينات، بس نتفق لو عايزني أشتري من عندك، يعني تعاملني كأني زبونة عادية.

* أعاملك كزبونة عادية إزاي؟! وانتِ صاحبة المحل أساسًا.

* شُفت بقى؟ أهو ابتدينا.

* بس دي حقيقة، انتِ فعلًا صاحبة المحل، وكمان هو اللبس دا هايلبسوا حد غريب؟! دول ولادي برضه.

_ طبعًا طبعًا.

* يبقى خلاص، خدي الموديلات والمقاسات اللي تعجبك، وبعدين كمان بالمرة انتِ عارفة ولاد شكرات أذواقهم ومقاساتهم إيه؛ علشان تنقّي لهم كدا كام طقم، علشان هاتروحي لخالتك البيت تودّي الحاجة اللي هاتنقّيها، وتكلّميها

علشان نتفق هانتقابل امتى وفين؟

_ من عينيا يا ابو حنين، تسلم لي يارب.

* دعواتك يا ست الكل، مش هاقول لك تاني، المحل كله تحت أمرك.

"نوسة" تصل إلى بيت خالتها، وتجلس معها...

_ عاملة إيه يا خالتي؟ وازي صحتك؟ طمّنيني إيه الأخبار؟

- شكلك كدا عايزة تقولي لي حاجة، أنا فاهماكي يا بت.

_ هاقول لك يا خالتي، ماضي إن شاء الله جاي معاكم بكرة، ومواضيع زمان دي كلها لازم تتنسي، إحنا ولاد النهاردا، والأهم دلوقتي هو مصلحة حنين.

- طبعًا كل حاجة راحت لحالها، واللي راح راح، احنا ولاد النهارده، حديتك زين يا نوسة، وفيه بيننا حاجة مشتركة كمان يهمنا كلنا مصلحتها.

_ طبعًا يا خالتي، حنين بقت خلاص عروسة، ومحتاجة تعيش حياتها، حياة طبيعية مستقرة، بعيد عن الغلط والتعب

بتاع زمان اللي راح لحاله خلاص.

- ربنا يصلح لها حالها يا بنيتي، عايزين ايه غير ستر ربنا علينا كلنا!

_ ربنا هايسترها إن شاء الله يا خالتي، ها.. ماضي هايقابلكم امتى بكرة؟ وفين؟

- ما عارفاش يا نوسة، ممكن عواد ابني ما ياجيش معانا بكرة؛ علشان مشغول مع العروسة، زي ما انتِ عارفة فرحه خلاص بعد كام يوم.

_ طيب كويس يا خالتي، لو ماجاش عواد معاكم، أهو هايبقى معاكم راجل، ومش غريب.

* ما عارفاش يا نوسة! لازم أقول لعواد، وهو يتفق مع ماضي، ويشوفوا الدنيا فيها إيه، مش دي الأصول برضك!

_ تمام كدا يا خالتي، آدي رقم ماضي أهو.

- هو انتِ معاكِ رقم ماضي من زمان؟! طيب لما كان معاكِ ما إتدهوليش ليه؟ ما انتِ عارفة إن من ساعة ما عرفنا الحكاية واحنا عايزين نبلغه، واكمن رقمه مش معايا نسيت

وانشغلت، وبعد كدا قلت شكرات تبقى تعرّفه الحكاية لأنها تخصّهم.

_ من ساعة جوز خالتي عودة وخميس ابن خالتي -الله يرحمهم- ما اتوفوا وأنا متابعة كل أخبار ماضي؛ علشان كنت حاسّة إن فيه شيء ربنا شايله عنده في علم الغيب.

- ربنا كان عالم، كنا عايشين ازاي زمان، وأيام جوز خالتك ما كان عايش يا نوسة احنا شُفنا بهدلة وأيام سودا، الله لا يعودها.

_ اللي جاي أحلى يا خالتي إن شاء الله، ما تنسيش تكلمي عواد علشان يتفق مع ماضي، علشان ماضي يقدر يعمل حسابه من دلوقتي.

تتصل "توحيدة" بـ "عواد" -ابنها-، وهو في بيت عروسه، وتعطيه رقم "ماضي"؛ لكي يتفق معه على الذهاب إلى الأسكندرية لزيارة شكرات، وتدبير الأمر معه، فهي لم تعلم أن ماضي معه رقم عواد الذي أعطته له " نوسه " أثناء فترة ذهاب زوجها عند رانيا "

* الو.. أهلًا ، ازيك يا عواد؟

_ أنا بخير الحمد لله، ازيك انت يا أستاذنا؟

* بخير الحمد لله يا حبيبي.

_ الحاجة والدتي كلمتني إنك رايح معاهم اسكندرية بكرة، هي إن شاء الله هاتكون جاهزة هي واختي تهاني على الساعة ٨ الصبح بالكتير، وانا احتمال كبير ما اقدرش آجي؛ علشان باجهّز لفرحي إن شاء الله، وعقبال أولادك، عقبال حنين إن شاء الله.

* إن شاء الله، هايستنّوني فين بكرة؟

_ في الموقف العمومي بتاع الأتوبيس.

* ليه في موقف الأتوبيس؟! أنا معايا عربيتي وواسعة تكفينا كلنا.

_ الجماعة هايكونوا واخدين حاجات لزوم الزيارة وكدا.

* وما له، أنا عندي شنطة العربية كبيرة تشيل بلد.

_ خلاص على خيرة الله، تروحوا وترجعوا بألف سلامة.

"شكرات" مستيقظة منذ آذان الفجر، أصابها القلق؛

لأن أهلها في هذه المرة قادمون ومعهم "ماضي"، ولكنها خائفة من هذه الزيارة، التي ستكون فيها مواجهة، وأيضًا خائفة من أن يكتشف أحد أو يلاحظ أي شيء ليس في الحسبان، خصوصًا أن حماتها -أم المرحوم زوجها- تعيش معها في نفس البيت، وهناك احتمال أن تأتي إحدى من بناتها لزيارتها، فتندهش من وجود "ماضي"، لأن هيئة "ماضي" مختلفة؛ كونه يشبه الأجانب، وأن طريقة التعارف بينه وبين "حنين" متروكة للموقف نفسه.

الساعة الآن تقترب من السادسة صباحًا من يوم الجمعة، "ماضي" يركب سيارته، ويتوجه إلى محل الملابس الذي يملكه في وسط البلد؛ لكي يأخذ منه تشكيلة من الملابس لـ "حنين" وأخواتها، وامتلأت حقيبة سيارة "ماضي"، وذهب إلى موقف الأتوبيس؛ لينتظر "توحيدة" وابنتها، ليأخذهما في رحلة الحنين.

"توحيدة" وابنتها "تهاني" تلتقيان بـ "ماضي" في موقف الأتوبيس، وتركبان معه السيارة، بعد أن تصافحوا في السيارة.

كل من "ماضي" و "توحيدة" يحدث نفسه في أمر المواجهة مع "حنين"...

* أنا لو رايح امتحان الثانوية العامة، مش هايبقى أصعب من الموقف اللي أنا فيه دا

- يا ترى حنين لما تشوف ماضي أبوها لأول مرة هاتحسّ بإيه؟

* يا ترى لما عينيها تيجي في عينيا هاعرف أتمالك نفسي؟

- الله يكون في عونك يا شكرات يا بنتي، هاتعيشي لحظات انتِ كمان لا تحسدي عليها.

أخذ "ماضي" كل شيء من حقيبة السيارة عند وصولهم، ودخلوا إلى البيت ودقّوا جرس الباب، لتفتح "شكرات" خائفة، ودقات قلبها تتسارع معها، لتبدأ في خوف الحوار:

_ يا مرحب يا ماضي، نورتنا ونوّرت اسكندرية كلها.

"حنين" تطيل النظر، وتتأمل في وجه "ماضي"، وهي تقول بينها وبين نفسها:

أنا شُفته فين قبل كدا؟

وهنا الكل يترقب نظراتهما المتبادلة، وفجأة تقول بصوت مسموع:

~ هو خالوا ماضي كان مسافر فين؟

لترد أمها:

_ يا حبيبتي.. خالوا ماضي كان مسافر فرنسا، ولسّه راجع من أسبوع واحد بس.

كان الغرض من زيارة "ماضي" لـ "شكرات" هذه المرة هو جسّ النبض، لمعرفة كيف يقولون لـ "حنين" الحقيقة، بأن "ماضي" هو والدها الحقيقي، وأنه ليس خالها، ولكن - المرحوم- "حاتم" الذي ربّاها كان على علم به.

وبعد انقضاء أكثر من ست ساعات عند "شكرات"، ينظر "ماضي" إلى "توحيدة" و "شكرات"، حيث أن الوقت قد حان، ولا بد من الرحيل، فيصافح "حنين"، وهنا "حنين" و "ماضي" لا يريدان أن يترك أحدهما يد الآخر، كأن قلب كل منهما سوف يخرج من صدره لو ترك يد الآخر، إحساس

ربّاني، وهذا الإحساس يؤكد لـ "ماضي" أن "حنين" هي ابنته ومن لحمه ودمه.

"ماضي" يغادر بيت "شكرات" بمفرده، لأن "توحيدة" قالت له أنها سوف تبقى عند ابنتها ثلاثة أيام؛ لمعرفة نتيجة هذه الزيارة.

يلعب القدر دوره، أثناء خروج "ماضي" من باب شقة "شكرات"، يتقابل مع "مديحة" -أخت المرحوم "حاتم" الصغرى-، وهي قادمة لزيارة والدتها، وهذا نادرًا ما يحدث بأن تأتي، ولكن هذا هو القدر، فتتذكر أنها رأت هذا الرجل منذ فترة ليست ببعيدة في القاهرة، عندما كان زوجها يريد شراء هدية عيد الأم لأخته الكبرى، ودخل محلًا من محلات الملابس التي يمتلكها "ماضي"، وكان مكتوبًا عليه: "شركة الأزياء لكل الأذواق، لصاحبها ماضي عبد التواب وأولاده".

"مديحة" كانت تنظر إلى "ماضي" بتعجب شديد واندهاش، وهو ينزل درجات السلم، وكانت تحدث نفسها:

= إيه اللي جاب الراجل دا هنا وهو من القاهرة ويملك محلات ملابس في القاهرة؟! لا يمكن شكله يتنسي؛ لأنه يشبه

فنانًا معروفًا.

حنين تتفاجأ بها، ومن داخلها تشعر أن ما أتى بـ "مديحة" في هذا الوقت غير مطمئن، فوقعت عين "مديحة" على والدة "شكرات"، وكانت ابنتها "تهاني" جالسة بجوارها في نفس المكان،

"مديحة" توجه الكلام لـ "حنين"؛ لأنها لم ترَ جدتها من قبل:

= هي مين الست الكبيرة دي اللي موجودة عندكم يا حنين؟!

* دي جدتي أم ماما ياعمتو.

= آه، بس أنا فاكرة إن حاتم أخويا -الله يرحمه- ماقالّناش إن ليكِ جدة عايشة، أنا فاكرة كويس إنه حكى لنا إن مامتك مقطوعة من شجرة، وكان ليها أخ تقريبًا كان مسافر برّة.

* لا ياعمتو، جدتي عايشة ما ماتتش، بس كان فيه ظروف كدا بتمنع إنها تخرج.

= ماماتتش؟! وإيه الظروف دي؟ واشمعنا ظهرت لما أخويا حاتم مات؟! ومين الراجل اللي كان نازل من عندكم دا؟!

*** دا خالوا ماضي اللى كان مسافر برّة.**

**= خالك ماضي؟! اسمه ماضي؟**

*** أيوة ياعمتو.**

**= أيوة.. أيوة.**

**وتحدث نفسها:**

**"دا واضح إن المواضيع الغامضة كتيرة قوي النهار دا"**

*** بتقولي حاجة يا عمتو؟**

**= بنقول واضح إن مامتك مشغولة مع الست دي اللي بتقولي عليها جدتك، ومش حاسة إني موجودة خالص.**

*** حالًا هانّاديهالك ياعمتو.**

**= لأ، مالهوش لزوم خلاص، خلّيها على راحتها مع ضيوفها، أنا هاندخل أوضة جدتك أتطمن عليها.**

**بعد أن أبلغت "حنين" والدتها أن عمتها موجودة عند جدتها، ذهبت "شكرات"؛ لكي تسلم عليها وترحب بها...**

**_ حمدًا لله على السلامة يا ست مديحة، عاش من شافك! بقى لك زمان ماجيتيش تزورينا أو حتى تتطمّني على الحاجة عليّة.**

**= أديني طبّيت عليكم أهو، قصدي أديني جيت أهو يا حبيبتي علشان أشوفها وأشوفكم.**

**_ يعني إيه طبّيتي؟! انتِ تيجي في أي وقت، دا بيت أخوكِ يا حبيبتي، يعني بيتكم كلكم.**

**= ماتقلقيش، من هنا وجاي هاتلاقينا كلنا، مش هانتحرك من هنا، قصدى مش هانسيب ماما أبدًا تاني أنا وكل اخواتي.**

**_ هو فيه أي حد يقدر يمنعكم؟!**

**= يمنعنا؟! مين دا اللي يقدر يمنعنا، لا عاش ولا كان، ليه! هو (البيت بيت أبونا والغرب يطردونا)؟!**

**_ إيه الكلام اللي بتقوليه دا ياست مديحة؟ مش فاهمة قصدك إيه؟ وإيه معنى الكلام دا؟! هو فيه حد داس لكم على طرف؟!**

**لترد الحاجة "عليّة" مستنكرة على ابنتها:**

- مالك يا مديحة؟ فيه إيه يا بنتي؟! انتِ جاية مقلوبة كدا ليه؟ فهميني يا بنتي فيه إيه؟

فترد "شكرات":

_ ما تتعبيش نفسك انتِ يا حاجة، مافيش أي حاجة، احنا عينينا للست مديحة.

"مديحة" بعد أن عادت لمنزلها بعد زيارة والدتها الحاجة "علية"، وما دار بينها وبين "شكرات" جعلها تتصل بأختها الكبرى "زينات" هاتفيًا؛ لتقصّ عليها ما رأته هناك...

_ احنا كلنا عارفين إن المرحوم حاتم كان حاكي لينا إن شكرات دي مقطوعة من شجرة، بعد وفاة أمها وأخوها اللي مسافر برّة.

* طبعًا يا مديحة، دا الكلام اللي قاله لينا زمان المرحوم حاتم

- الله يرحمه -، إيه الجديد في كدا؟

_ أنا شُفت راجل النهار دا خارج من عند شكرات، وسألت مين دا؟ حنين قالت لي:

دا خالي ماضي اللي كان مسافر برّة ولسّه راجع من أسبوع،

رغم إن أنا يا زينات شُفته أنا وجوزي من كام شهر لما كنا بنشتروا هدية عيد الأم لأخته الكبيرة.

* بقى احنا ولاد الحاج سليم المنسي على سن ورمح، تيجي واحدة على آخر الزمن مش عارفين أصلها ولا فصلها وهاتلعب بينا؟!

_ لازم نعرفوا إيه الحكاية بتاعتهم دي اللي كلها غموض، مش هانسيبوا الحكاية دي تعدّي كدا وخلاص.

* أيوه، لازم نعرفوا في إيه؟ وإيه اللي بيدور حوالينا.

_ أنا ما رضيتش نفاتحها في أي شيء.

* أحسن يا مديحة، لما نتقابلوا كلنا نتكلموا مع بعض ونتناقش.

_ أنا حسيت يا زينات إن ماما مش عايزاني نقف قدام شكرات، خلّتني نقفل بُقّي.

* ما انتِ عارفة طبعًا مدى حب الحاجة ليها قد إيه؟

**واتفقتا على أن تجلسا معًا؛ لتناقشا موضوع "شكرات"، وأخوها الذي ظهر بعد عدة سنوات سفر خارج مصر.. كما تدعي.**